الفصل الخامس

التغير الاجتماعي في مجتمع البحث

المبحث الأول: مجتمع البحث (مدينة ودمدني):

تمهيد:

يتناول هذا الفصل واقع التغير الاجتماعي في مجتمع البحث، وانعكاسات التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والديموغرافية والثقافية؛ وتأثير هذه التغيرات على البناء الأسري في مجتمع البحث.

خصائص البيئة والتضاريس:

تقع مدينة ودمدني عاصمة ولاية الجزيرة بين خطي عرض وطول 14. 19 درجة شمالاً، و33 .31 شرقاً. وتتميز بموقعها الجغرافي في وسط السودان حيث تقع على الضفة اليسرى من النيل الأزرق قبل إلتقائه بنهر الرهد شمالاً. وتقع على مسافة 186 كلم جنوب الخرطوم، وتبلغ المساحة الكلية لمدينة ودمدني حوالي 50 كلم مربعا (البصير: 2004: 17). وترتفع عن سطح البحر حوالي 405 متر وتنحدر الأرض من جهة الغرب نحو الشرق مما يجعل المجاري تتجه بسرعة شديدة وباتجاه النيل الأزرق مسببة عمليات نحت مما أثر في طبيعة المنطقة (الجعلي: 2005: 53). وتعتبر مدينة ودمدني نقطة التقاء مهمة للطرق القومية حيث تربط مدن السودان والعاصمة الخرطوم بميناء السودان الأول ببورتسودان. وفي بداية القرن العشرين من عام 1900م أقيمت محطة السكة حديد، وتم اكتمال الخط الحديدي الخرطوم – مدني، وفي عام 1912م تم اكتمال خط ودمدني – كوستي – الأبيض. وإلى شرق السودان في عام 1928م، مما أدى إلى ارتفاع في عدد السكان وارتفاع معدلات الهجرة من مختلف أقاليم السودان (البصير: 2004: 103).

علماء الجغرافيا يؤكدون أن العوامل الجغرافية التي تشكل معالم السطح والمناخ لها تأثير كبير على حياة المواطن، وتساهم في رسم الخريطة السكانية والاقتصادية. وإن طبيعة المنطقة التي تقع فيها مدينة ودمدني على الضفة اليسرى من النيل الأزرق التي تسمى بالجزيرة، فإنها أخذت هذا الاسم مجازاً ولكن جغرافياً أو طبيعياً فإنها لا تمثل الجزيرة بالمصطلح الجغرافي (الصياد، وعبدالعني:1966:

128). وقد كتب عنها المؤرخ ريتشارد هيل: (أن مدينة ودمدني تقع في شبه جزيرة سنار، على مسيرة يومين بالحمير من مدينة سنار على الضفة الغربية للنيل الأزرق. والضفة عند ودمدني منخفضة ومتآكلة يتعذر رؤيتها على القادم إليها بسبب الغابات الكثيفة (هيل: د.ت: 69).

خلفية تاريخية:

تعتبر مدينة ودمدني من أقدم أربع مدن في السودان. ويقول إسماعيل محمد قديم (1998) قد كانت قبل دولة السلطنة الزرقاء عبارة عن قرية صغيرة أطلق عليها اسم (نسيم)، والمباني عبارة عن رواكيب مبنية من القش وكانت تسكن في المنطقة قبيلة الكواهلة، واستهوت المنطقة بعض القبائل العربية الأخرى منها الدباسين والعوامرة والشكرية (البصير: 2010: 104). وتقول بعض المصادر: يرجع تاريخ مدينة ودمدني الحديث إلى نهاية النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي. في عهد مملكة الفونج (السلطنة الزرقاء 1508–1820م)، وذلك باتفاق معظم الباحثين، إلا أن تحديد التاريخ بالسنة موضع خلاف بين المؤرخين المعاصرين للرعيل الأول الذين شهدوا بداية التأسيس؛ فمثلا ورد في كتاب أنماط ونماذج المدن الكبرى في السودان: ترجع تسمية المدينة إلى مؤسسها الشيخ محمد مدني السني، واستقر فيما يسمى حالياً حي المدنيين، النواة الأولى للمدينة في تاريخ غير محدد (العبادي: 1975: 71). وتشير بعض الدراسات إلى بداية تاسيس المدينة على يد الشيخ محمد مدني السني في عام 1489م (أحمد: د. ت: 13). وكذلك ورد فى كتاب ودمدني الروح: يرجع تأسيس المدينة إلى العارف بالله الشيخ محمد مدني السني، وبناء خلوة للقرآن الكريم عام 988هـ قبل السلطنة الزرقاء بسبعة وعشرين عاماً (شاطوط: 1995: 11). ويرجح د. سالم (1996م: 13) حدد تاريخ نشأة المدينة بين الأعوام (1508–1820م). وقد وضح أن مكان مدينة ودمدني الحالي كان مأهولاً بالسكان، وقد يرجع إلى مملكة سوبا أو ماقبلها بكثير، وذلك لاكتشافه بعض الأثار في وسط منزل أسرته في الجزء الجنوبي لحي المدنيين (نمرة 31. مربع 12) بما يعرف بحفرة السكسك (الخرز) الملون بالأحمر والأزرق، ويؤكد أنه نفس النوع الموجود في متحف السودان، ويقول البعض إنها من عهد العنج، كما يوجد في نفس الحي مقبرة وهياكل بشرية ترجع إلى فترة بعيدة. وتقول بعض المصادر إن المغاربة أول من هاجر إلى ودمدني ونسبوها إلى الشيخ مدني السني والكلمة ليست (ود) ولكنها (واد) في لهجة أهل المغرب العربي. وقد زارها المؤرخ اليونانى (جيوفاني) في القرن السابع عشر وكتب عنها (سالم: 2004: 5).

تقسيمات ودمدني القديمة:

لقد كانت بداية حالة المدينة تمثل حياة سيئة، ولم يكن بها عمران سوى قرية المدنيين (حي المدنيين حالياً) التى كانت تتكون من القطاطي المبنية من القش والطين، وتحاط بأسوار من الشوك. وقد كانت الصورة التاريخية لخريطة مدينة ودمدني الجغرافية عند بداية نشأتها عبارة عن غابات كثيفة وشجيرات متشابكة وأشواك على مساحات واسعة من المدينة تتمدد فيها مدينة ودمدني شمالاً يحدها شاطيء النيل الأزرق من غابة أم بارونة شرقاً حتى موردة الحطب بالدباغة غرباً، وجنوباً يحدها شريط السكة حديد. وشرقاً تحدها جزيرة الفيل. وغرباً يحدها كذلك شريط الحديد الذي يشكل شبه قوس في الاتجاه من الجنوب إلى الغرب متجها شمالاً إلى الخرطوم وكانت هذه المساحة من الأرض تغطيها الأشجار والأعشاب الكثيفة وتسكنها الثعابين والمرافعين والنمور والحيوانات المتوحشة (شاطوط: 1995: 10).

بدأت نشأة العمران في فترة الحكم التركي حيث شيدت المباني دون تخطيط، ولاتكاد تعثر على مبنى يسترعي الانتباه عدا ثكنات الجيش، وهي عبارة عن صرخ ضخم مربع الشكل تحيط به الأحياء السكنية، ويقع على بعد أربعين خطوة من النيل على الواجهة المطلة على النهر للثكنات، ألحق مبنى آخر أحسن شكلاً وارتفع عن بقية المباني، وهو منزل الضابط المسؤول. ويقع على بعد مائة خطوة من هذا المربوع المستشفى العسكري*، الذي تتوسطه مساحة واسعة تغطيها أشجار السنط، وحول الساحة حجرات بعضها مخازن وبعضها الآخر مساكن الممرضين، وحجرات أخرى للأطباء والموظفين والصيدلية بمعملها والمطبخ، ومكان لغسل الموتى والتكفين، وغرفة كبيرة بها نوافذ من جميع الجهات ليعبر منها تيار الهواء من الساحة لتبريد الماء في الأزيارعلى طول الغرفة وعرضها (هيل: د.ت: 70). وعلى بعد نحو أربعمائة خطوة شمال الثكنات يطل على النهر منزل أمين بك قائد الفرقة الثامنة التي تمثل العمود الفقري للحامية، هذا المنزل كان يتكون من طابقين بجدران صلبة ويعتبر من أجمل المنازل في مدينة ودمدني في تلك الفترة، له بلكونة تطل على النيل لتكشف المنطقة الممتدة أمامها بما فيها النهر والغابات على الضفتين (هيل: د.ت: 70).

* - لا أثر الآن للثكنات ولا المستشفى في موقعهما بالقرب من الجامع الخكومي، في المنطقة الواقعة بين حي المدنيين والمدينة الحديثة، ولا يزال منخفض على الشاطيء كان يعرف بحمام الجيش.

وفي منتصف المدينة توجد قبة الشيخ مدني السني وقد بنيت من الطوب الأحمر على خلاف سائر المنشأت والمنازل التي شيدت بالطوب الأخضر ماعدا الثكنات التي بناها إسماعيل باشا بالحجر الخشن المغطى بالطين. وبالقرب من هذه القبة يوجد مسجد يغطي أرضيته الطوب الأحمر، وقد بنى في عهد خالد باشا خسرو حاكم عام السودان (1845–1850م). أما السوق فقد كان عبارة عن مجموعة من الأكواخ أخذت مكانها على خطين متوازيين. فالمدينة عامة كانت غير منظمة وقذرة حيث تقع في منطقة منخفضة تمتلي بالحفر التي تطفح بالمياه في فصل الخريف، وتبقى المياه حتى فترة الجفاف حيث لايوجد نظام للمجارى، فتتعفن المياه تحت أشعة الشمس مسببة أنواعاً مهلكة من الحمى والأمراض الوبائية (هيل: د.ت: 71).

وفي فترة الحكم الإنجليزي للسودان (1898 – 1956م)، أخذت المدينة شكلها الأساسي بعد دخول القوات الإنجليزية المستعمرة إلى السودان؛ حيث أعيد تنظيمها بعد تشييد أحد الأحياء؛ وهو: **حي القسم الأول:** يقع هذا القسم غرب السوق الكبير مباشرة، ويمتد في شكل شريط مستطيل غربا حتى شارع الحرية، ويحده شمالا النيل الأزرق، وجنوبا شريط السكة حديد، وكان من أوائل العوائل السودانية عائلة البوشي؛ ذلكم الرجل الذي أسهم بفكره وتعامله في دعم التنمية الاجتماعية بمدينة ودمدني، وقد تم على يده تشييد أول مسجد لأداء صلاة الجماعة بالحي في عام 1894م، وقد أنطلقت فكرة التعليم الديني، والثقافة الإسلامية من هذا المسجد.

كان يسكن هذا القسم شريحة من التجار الأجانب؛ من الهنود والشوام والاغريق والمغاربة. ويعرف بحي التجار، وتتكون معظم مبانيه من الطوب، والأسمنت، مع قلة من المباني الطينية وتمتاز شوارعه بالتخطيط والاتساع، كما يمتاز بوجود المساجد، والحدائق، والمنتزهات العامة والأندية الرياضية،. ودور السينما والأحزاب السياسية، والكنائس المسيحية، والفنادق، والمدارس (البندر)، وأهم الأحياء البصيلية والبحيرية (الجعلي: 2004: 162).

القسم الثاني: يقع غرب القسم الأول في شكل مستطيل ممتد من النيل الأزرق شمالا حتى شريط السكة حديد، ويعتبر في الزمان القديم حدود ودمدني غربا. ويسكن في هذا القسم أحفاد وأبناء الشيخ محمد بن مدني، وخليط من أبناء القبائل السودانية المختلفة، وهو يشكل مركز الثقل السكاني آنذاك،

كما يعكس التنوع المهني لمختلف الصناعات والمهن والحرف اليدوية ذات القيم الجمالية الرائعة التي ساهمت في إحداث التغيير الاجتماعي والاقتصادي. كما كان يسكن في هذا الحي فئة من المزراعين الذين امتهنوا الزراعة على ضفاف النيل، ومشروع الجزيرة (الجعلي: 2004: 162).

العمران في هذا القسم كان أقل جودة من القسم الأول فمعظم المنازل كانت من الطين والقليل من الطوب. أما أهم المرافق التي شيدت في هذا القسم: الجامع الكبير (جامع الحكومة)، مسجد بانت، مسجد الأحمدية، مسجد ومسيد الشيخ شاطوط. ثم المدرسة الأميرية الوسطى، المدرسة الأهلية، المعهد العلمي في مباني الجامع الكبير، خلوة الشيخ محمد مدني السني، وغير ذلك. ويلاحظ داخل هذا القسم مسميات الأحياء والفرق المرتبطة بأسماء العوائل أو القبائل؛ التي انحدرت منها الأسر ولعل من أشهر هذه الأسماء: ودأزرق، فريق السناهير، النضيراب، أم سويقو، فريق القبة، فريق المدنيين، فريق الحلبة، ودقيحا، مربع الهوارة، مربع 11، فريق البصيلية، فريق ودعيسى ..... ألخ (الجعلي: 2004: 162).

أخذت ودمدني شكل المدن الاستعمارية، خصوصاً عند مكان القبة (قبة الشيخ محمد مدني السني) حيث أخذ تقاطع الشوارع شكل العلم الإنجليزى. وما زال هذا الطابع مسيطراً على هيكلها العام كما هو في أغلب مدن السودان الكبيرة. وبعد اكتمال مباني الحكام بدأ العمل في تشييد المصالح الحكومية مثل مباني المديرية 1902م (سالم: 1996: 17). وقد تم بناء الدوائر الرسمية على امتداد شارع النيل منها البريد والمحكمة والكلوب الإنجليزي (نادى الجزيرة حالياً) والحدائق العامة؛ كعكاتي– البلدية سابقا – حديقة سليمان وقيع الله، وميدان الملك سابقا (ميدان الحرية حالياً). هذا إلى جانب ميادين التنس. وتحتل مساكن الإنجليز الناحية الشمالية الشرقية للمدينة حيث تسمى آنذاك الحي البريطاني الآن الحي السوداني، ويقع جنوب الدوائر الرسمية السوق الكبير، حيث يلاحظ وجود جنسيات أجنبية مثل الشوام، والأغاريق، واليهود يعملون في السوق الأفرنجي، ويشكل أولاد البلد المنطقة المتاخمة لهم حيث تعرف بالسوق العربي (الجعلي: 2004: 161) . ونجد أن حي الموظفين الذي يسكنه الموظفون حسب درجاتهم الوظيفية، فكلما اتجهنا جنوباً تقل رتبة الموظف، وكذلك مستوى السكن، حتى تصل الأورطة وهي سكن أفراد البوليس، وبعدها سكن عمال الدولة، التي تحد جنوباً بمقابر الأجانب غير المسلمين، وجنوب السوق يوجد المستشفى الملكي، ومحطة السكة الحديد.

وفي بداية الخمسينيات ظهرت أحياء إضافية مثل: بانت، شندي فوق، جبرونا، حي الثورة (الصقور سابقا)، دردق، حي المزاد، وفي الستينيات ظهرت الأحياء السكنية الجديدة مثل الدرجة الأولى، والدرجة الثانية مع تطور في المباني عمرانيا، كما ظهر حي المطار (درجة أولى) على شكل طوابق، وفلل وحدائق داخلية. ولاحقا في عام 1967م أضيفت بعض المناطق التي كانت حول المدينة مثل: المكي، جزيرة الفيل، مارنجان عووضة، وعترة، الكريبة. وخلال فترة السبعينات خططت أحياء مايو، أركويت. وفي عام 1984م ظهرت مثل أحياء الزمالك.

وفي التسعينيات ظهرت أحياء المنيرة، الأندلس، كما شهدت الامتدادات الجديدة شرق النيل. وقد شهدت مدينة ودمدني ثلاث خطط إسكانية في الأعوام 1976م/ 1982م/1987م الممتدة حتى تاريخه. ويلاحظ ان هنالك سكنا عشوائيا منظم حول المدينة يتمثل في القرى التي قامت بصورة تلقائية منها حبيب الله، عووضة، مارنجان. وهناك سكن عشوائي غير منظم مثل حلة رضوان، السنيط، كمبو حليمة، كمبو هيئة البحوث الزراعية (الجعلي: 2004: 163). وقد أدى السكن العشوائي بمدينة ودمدني لمشاكل اجتماعية وأمنية.

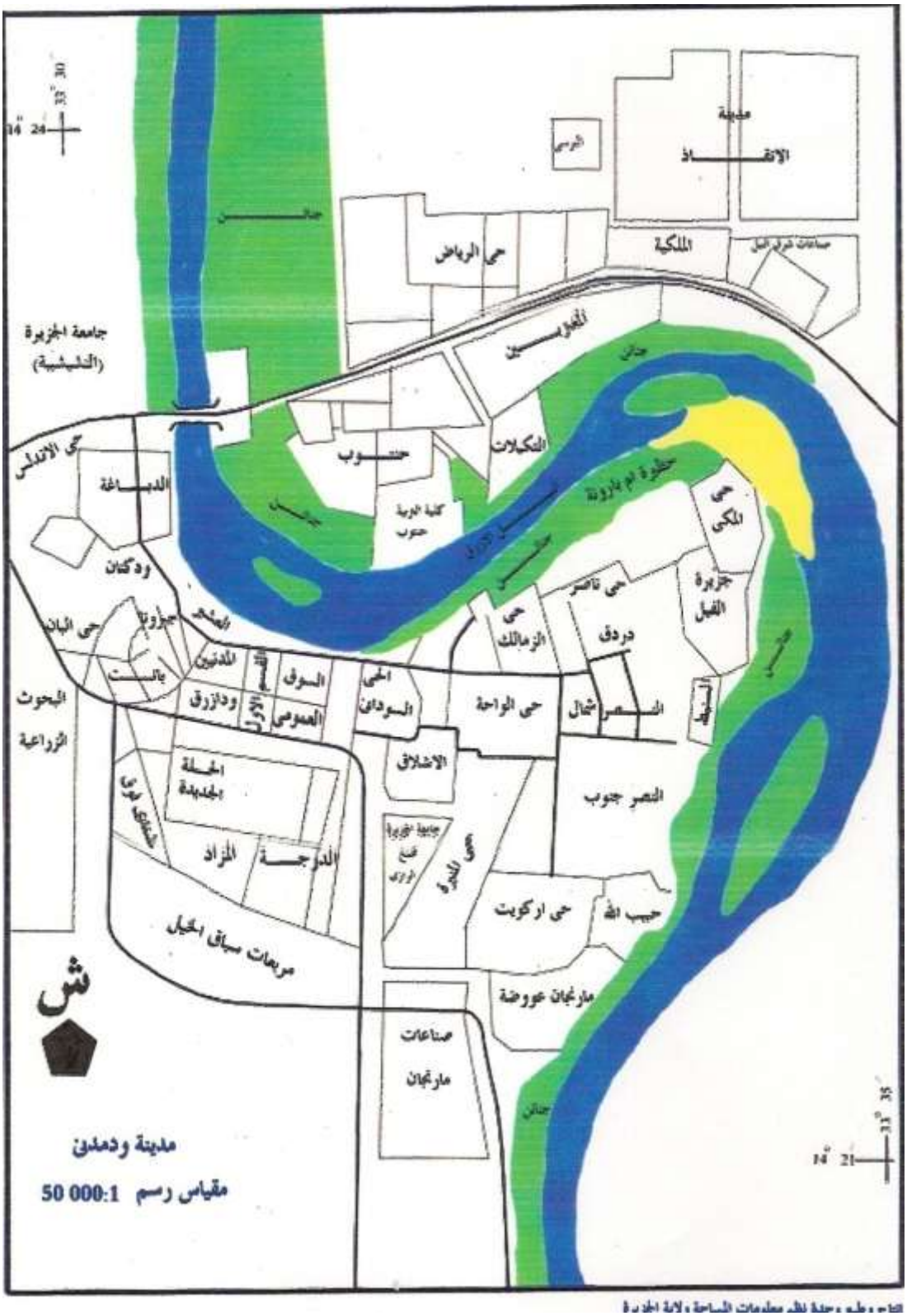
مدينة
الاقتصاد
الملكية
حي الرياض
جامعة الجزيرة
(الشيشية)
حي الاندلس
الدباغة
ود كتان
حي البان
البحوث
الزراعية
المدنيون
السوق
العمومي
ودازرق
الحلة
الجديدة
المزاد
الدواجة
مربعات سباق الخيل
حي السودان
حي الواحة
الاشلاق
حي الزمالك
حي ناصر
دردق
حي المكي
جزيرة
الفيل
النصر شمال
النصر جنوب
حي اركويت
حبيب الله
مارنجان عوضة
صناعات
مارنجان
مدينة ودمدني
مقياس رسم 1:50 000

المبحث الثاني:التغير الاجتماعي والاقتصادي بمدينة ودمدني:

التغيرات الديموغرافية:

تعد التغيرات السكانية أهم مظاهر الحراك الاجتماعي التي عرفتها البشرية منذ زمن بعيد، حيث كان الناس في الماضي يرتحلون من مكان إلى آخر بحثا عن الطعام والماء والأمن والأيواء في أماكن وجودها فالهجرة والارتحال والانتقال هي واحدة من سنن الحياة، وقد أورد القرآن الكريم أهم دوافع وأهداف الهجرة وهو البحث عن سعة الرزق في الأرض، والبحث عن أماكن الأمن خوفا من ظلم الطغاة، حبث يقول الله تعالى مبينا حالة قريش في رحلة الشتاء والصيف بقوله تعالى: (الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ) (قريش: 4). ويقول تعالى: (... قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (النساء: 97) (أبوالحسن: 2011: 93). وعلماء الدراسات السكانية دائما ما يؤكدون أن الهجرة تتجه إلى حيث تكون الظروف الاقتصادية مواتية للكسب ورفع مستوى المعيشة (رشوان: 1989: 107). وكانت الهجرة نقطة البداية في التاريخ الإسلامي، لا لأنها تتفق مع عمل شخصي قام به النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لأنها تتفق مع أول عمل قام به المجتمع الإسلامي، أي مع تكوين شبكة علاقاته الاجتماعية (بن نبي: 1962: 25).

ولقد شكلت مدينة ودمدني من ناحية تاريخية شبكة علاقات اجتماعية تتكون من المجموعات الإثنية، وهذه ضرورة حتمتها الظروف التي عاشتها المدينة منذ تأسيسها، وقد أزداد نزوح القبائل العربية في فترة السلطنة الزرقاء (1504-1821م) وبمرور الزمن صار المكان آهلا بالسكان بعد تأسيس الخلاوي وحلقات العلم على يد الشيخ مدني السني من مختلف أنحاء السودان وبعض دول الجوار الإفريقي فتوج ذلك عنصر التلاقي والتعايش الثقافي، ونجد أن المجتمع تأثر كثيراً بغرس قيم الدولة السنارية، والتى تعتبر أول كيان سياسي إسلامي قام في السودان كنتاج لدخول الثقافة العربية الإسلامية في السودان.

ومع تطور المدينة السكاني والمتغيرات المحلية ونهاية السلطنة الزرقاء (دولة سنار) ثم الغزو التركي للسودان عام 1820م، تأثرت مدينة ودمدني كغيرها من المدن الأخرى بتدفقات سكانية عالية بعد أن أصبحت العاصمة الجديدة للسودان في ذلك الوقت لموقعها المتوسط وأحاطتها بأراض زراعية غنية تعرف بمنطقة الجزيرة وسكنوا في الأحياء التي تعرف بالسكة حديد والسوق والدرنية. ولقد استوعب

جيش محمد على باشا الغازي للسودان عام 1821م مجموعات من الأرمن والشراكسة والألبان والارنؤوط. ووفدت إلى ودمدني أجناس متعددة الهوية من خارج السودان كالمصريين والأقباط والمغاربة والشوام والمجر والإيطاليين والأغاريق (اليونانيين) والهنود والنقادة واليهود وأتخذوا القسم الأول سكناً لهم (الباشا: 1992: 22).

ومن داخل السودان هاجرت إلى ودمدني بعض القبائل والجماعات الهاربة من ويلات الحروب، وقهر السلاطين، أثناء فترة الحكم التركي فكان أشهر تلك القبائل نزوحا قبيلتي الشلك والعنج، وهجرات من شمال السودان بعد الحملات الانتقامية للسلطة التركية بعد حرق إسماعيل باشا. وبعد نهاية الحكم التركي للسودان سرح الأتراك الجنود الذين كانوا بالجيش التركي فقصد معظمهم مدينة ودمدني حيث الأمن والرخاء، واستقروا في الفراغ الذي يقع بين جزيرة الفيل وحي دردق، وتجمعوا في شكل قبائل أو جماعة وعوائل وحطوا الرحال في مكان وجعلوه سكناً سمى ذلك المكان بالرديف ويعني الجنود المتقاعدين The Retired Troops (شاطوط: 1995: 13).

أما قبل وخلال فترة الثورة المهدية 1985م –1898م شهدت مدينة ودمدني بصفة خاصة والجزيرة بصفة عامة أكبر التحركات السكانية وهي الهجرات ذات الصبغة المهدوية والتي اتجهت من غرب إفريقيا نحو الشرق إما لأداء فريضة الحج وانتظار ظهور المهدي المنتظر أو الاقتراب من الموقع الذي ينتظر فيه ظهور المهدي وتهيئة الطريق لمواصلة الرحلة لمبايعته عند ظهوره. وارتبطبت هجرات مسلمي إفريقيا إلى السودان واستقرارهم بمفهومهم للشرق (بالهوسا Cabas) مأخوذة من القبس (الذي يصاحب شروق الشمس) باعتبارها اتجاها لمهبط الوحي والكعبة المشرفة، كما أنه الاتجاه الذي توجد فيه بقية الأماكن المقدسة مثل المدينة المنورة حيث قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وبيت المقدس الشريف بدولة فلسطين، وزيادة على ذلك هناك في الشرق يوجد الموقع الذي ينتظر فيه ظهور المهدي عليه السلام (أبومنقة: 2008: 14).

ويرى الباحث كانت لهذه الهجرات أثر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية بالجزيرة، وكان لحسن المعاملة التي وجدها هؤلاء المهاجرون ما أغرى البعض منهم إلى الاستقرار نهائيا بالسودان بحثا عن العمل ولأن السكان من أصل رعوي فقد أشتدت الحاجة بهم إلى الأيدي العاملة لنجاح مشروع الجزيرة بعد قيامه. وبعد ظهور المهدي شهدت مدينة ودمدني تدهوراً سكانياً واقتصادياً، حيث هاجر معظم سكانها الذين استدعتهم قيادة الثورة للدفاع عن الدولة الإسلامية، وبعد سقوط مدينة

أم درمان بعد موقعة كرري ونهاية الثورة المهدية عاد السكان مرة أخرى إلى مدينة ودمدني. بعد دخول جيوش الاحتلال الانجليزي (1898– 1956م) تم اختيار ودمدني عاصمة لمديرية سنار في عام 1903م، وفي أول يناير 1906م صارت عاصمة لمديرية النيل الأزرق. وقد شهدت هجرات أخرى من مصر ومن قارة أوربا وقارة آسيا ومن غرب إفريقيا، وقد ازدادت الهجرات أكثر بعد قيام مشروع الجزيرة، ومؤسسة الحفريات والري والأشغال والبحوث الزراعية والسكة حديد، وحاجة المشروع إلى العمالة في الغيط والمحالج فنشأت أحياء عمالية في منطقة بركات ومارنجان، وحلة حسن وحي 114. وكانت اللغة العربية تمثل لغة التفاهم المشتركة بين هذه القبائل في كل المعاملات (البصير: 2004: 18).

أما في مرحلة مابعد استقلال السودان (1956م) فقد تميزت مدينة ودمدني بنمو كبير للسكان بسبب التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، والتعليمي والخدمي، وقد أدى ذلك إلى هجرات عدد كبير من أقاليم السودان ومن الريف إلى ودمدني بعد أن اتسع النشاط الاقتصادي وإزداد دخل الفرد بعد ذهاب المستعمر، وتضاعف حركة النشاط العمراني والتعليمي والثقافي.

جدول رقم (1) يوضح عدد سكان ودمدني حسب النوع (تعداد السكان 2008م وإسقاط تركيبي للعام 2014).

السنوات	النوع		المجموع	معدل الزيادة السكانية	معدل النمو السكاني
	ذكر	أنثى			
1956			52.400	.	3.4
1973	.	_	106,715	%104	3.1
1983	.	_	144,802	%26	2.9
1993	.	_	211,362	%31	2.8
2008	146,890	142,592	289,482	%27	2.2
2014	117063.4	122916.6	239980	%17	±2.1
النسبة	%49	%51	%100	.	

المصدر: مركز الدراسات السكانية – جامعة الجزيرة ، والجهاز المركزي للإحصاء – بتصرف من الباحث.

يشير الجدول رقم (1) إلى ارتفاع نسبة السكان بعد عام 1956م من 52.400 إلى 249980 في عام 2014م. حيث نجد هنالك انخفاض في نسبة السكان بنسبة (– 17%) من اخر تعداد وذلك نسبة إلى انخفاض النمو الاقتصادي وانهيار مشروع الجزيرة، وإغلاق مصانع النسيج، والزيوت، وانهيار الصناعة بختلف أنواعها، بالإضافة إلى الزراعة. ونلاحظ أن الأسباب اقتصادية، ومنها عوامل إنخفاض الدخل القومي أو الثروة، وهذا يقود إلى إنخفاض في الدخل وتدني مستوى المعيشة نتيجة

لعدم الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة على النطاق القومي لخدمة الأهداف الجماعية. مما أدى ذلك إلى الهجرة للداخل والخارج. وتشير الإحصاءات إلى أن هنالك زيادة في عدد الإناث على الذكور بنسبة 2%؛ بين الأعوام 2008 –2014م.

جدول رقم (2) يوضح المؤشرات الديموغرافية لمدينة ودمدني 2008–2014 :

المؤشر	الوحدة الحسابية	المعدل في 2008–2012	المعدل المسقط 2014
معدل الخصوبة لدى النساء	للمرأة الواحدة	5.7	5.2
معدل وفيات الرضع	لكل 1000 من المواليد الأحياء	52	48
وفيات الأطفال دون الخامسة	لكل 1000 من المواليد الأحياء	63	57
ممتوسط فاقدي الأبوين أو الإثنين معا	لكل 100 شخص	2.8	3.1
متوسط توقع الحياة عند الميلاد، إجمالي	للشخص الواحد	59.5	60.5
متوسط توقع الحياة عند الميلاد: ذكور	للشخص الواحد	59	60
متوسط توقع الحياة عند الميلاد: إناث	للشخص الواحد	60	61
معدل وفيات الأمهات	لكل 10000 من المواليد الأحياء	206	178
معدل المواليد الخام	لكل 1000 من المواليد الأحياء	13	12
معدل الوفيات الخام	لكل 1000 من المواليد الأحياء	33	29

المصدر: مركز الدراسات السكانية – جامعة الجزيرة.

يشير الجدول أعلاه إلى المؤشرات الديموغرافية لمدينة ودمدني 2008–2014م، ويلاحظ أن هنالك إنخفاضا في نسبة الخصوبة لدى النساء إذ يشير إلى معدل الخصوبة للمراة الواحدة في عام 2012م (5.7)، وفي عام 2024م (5.2). ونلاحظ أن هنالك نسبة عالية من معدل الوفيات للامهات في 2012م (206) وهنالك انخفاض في 2014م (178). ولكن هنالك انخفاض في نسبة المواليد الخام لكل 1000 من المواليد (13) في عام 2012م، و(12) في عام 2014م. ومعدل الوفيات (33) لـ 2012م (33)، و2014م (29).

"ساهمت مجموعة من العوامل إلى إنخفاض مستويات الخصوبة في السودان، جاء في مقدمتها بعض التغيرات التي حدثت في نمط الزواج، وقد شكل الدارسون أسباب ذلك لزيادة فرص التعليم. ذلك أن التعليم يشكل دافعاً كبيراً لتأخير سن الزواج بالأخص عند الإناث" والقضايا الاجتماعية المهمة التي

أبرزتها هذه المؤشرات تأخر سن الزواج (خاصة للفتيات) وارتفاع معدلات الطلاق (الطيب: 2007: 106).

إن الحراك السكاني والهجرة التي تشكل العامل الأول في توزيع السكان وتحديد نمط المعيشة للكتل السكانية المختلفة، ونجد أن تدهور البيئة الطبيعية تسبب في حراك سكاني مهول خلال العقود الثلاثة الماضية والتغيرات والتحولات الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في المناطق المستقبلة للمهاجرين والنازحين، والاستخدامات غير الراشدة للموارد الطبيعية من إزالة القطاء النباتي وتدهور الزراعة أو إهلاك المراعي بالرعي الجائر أو تلك المرتبطة بنمط التنمية من خلال عدم التوازن في الاستهلاك والتوزيع أو استخدام مواد مضرة بالبيئة مثل الاسمدة والمبيدات في المناطق الزراعية أو التلوث المائي الذي ينتج عنها (الطيب: 2007: 4). ويرى الباحث الآن تدهورا بيئيا حدث في مشروع الجزيرة نتيجة هذه الأسباب المذكورة أعلاه وقد اتجهت العمالة التي كانت تعمل في المشروع إلى المدن الحضرية الكبرى وخاصة مدينة ودمدني والخرطوم بحثا عن العمل.

وقد أدى الحراك السكاني إلى زيادة نمط المعيشة الحضري، ولكنه أثر سلبا على بنية ومظهر المدن من خلال انتشار السكن العشوائي والضغط على الخدمات المتاحة للسكان. ومايلفت النظر في هذا في مايتعلق بالهجرة ونوع المهاجرين والاختلاف في الأنماط التاريخية المعروفة. فرغم استمرار ظاهرة الاتجاه العام لتوجيه المهاجرين الأكبر في ولاية الخرطوم إلا أن بعض الولايات تحولت من مرسلة إلى مستقبلة كالولاية الشمالية، وفي المقابل ولاية مثل ولاية الجزيرة تحولت من مستقبل إلى مرسل للمهاجرين. الشيء الثاني تآكل ظاهرة انتقائية الهجرة من الريف إلى المدن حسب النوع والعمر (الذكور والشباب) والتي لم تعد تشمل الذكور فقط وإنما صارت هجرة للأسرة بكاملها الشئ الذي يستدل عليه من التوازن النوعي بين المهاجرين (عبدالعاطي: 2012: 5).

ويرى الباحث أن الهجرات السكانية السابقة بكافة أنواعها لمدينة ودمدني أحدثت تحولاً اجتماعياً من حيث البناء الاجتماعي والنظم والوظائف والعادات والتقاليد والتغير في نمط سلوك الأفراد بانصهار أجناسها وعاداتها وتقاليدها وأعرافها.

التغيرات الاجتماعية والثقافية:

التغير الثقافي هو عبارة عن التحول الذي يتناول كل التغيرات التي تحدث في أي فرع من فروع الثقافة التي ترتبط بدرجة كبيرة بالظواهر الثقافية (المعرفة، الأفكار، والفن) علماً بأن هنالك صلة وثيقة بين المتغيرات الاجتماعية والمتغيرات الثقافية، فنمو وتطور العلوم والتكنولوجيا ومنظومة القيم والأفكار ووسائل وأدوات التعبير الفني والإبداعي لها الأثر المباشر على البناء الاقتصادي والاجتماعي (الجنيزي: najaf.org). وحيث أن كل تغيير يطرأ على الخصائص التشكيلية أو يحدث في التوجه الثقافي لجماعة إنسانية معينة هو نتيجة مباشرة لوظيفتها التاريخية. فإن كل جماعة لاتتطور، ولا يعتريها تغيير في حدود الزمن، تخرج بذلك من التحديد الجدلي لكلمة "مجتمع". وأيا كان الأمر "فالمجتمع" هو الجماعة الإنسانية التي تتطور ابتداء من نقطة يمكن أن نطلق عليها مصطلح "ميلاد". والحياة المشتركة قد تبدأ بفرد واحد يمثل في هذه الحالة نواة المجتمع الوليد. وأطلق على إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم في قوله تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً) (النحل: 120)، ففي هذه الحالة نجد أن المجتمع "الأمة" يتلخص في "إنسان واحد" أي أن يتلخص في مجرد احتمال حدوث تغيير في المستقبل، ما زال في حيز القوة، تحمله فكرة يمثلها هذا "الإنسان". والمجتمع ليس مجموعة من الأفراد، بل هو تنظيم معين ذو طابع إنساني يتم لنظام معين (بن نبي: 14).

ويعتبر التعليم هو الأداة الرئيسية للتغيير الاجتماعي والثقافي .. وغالبا يُعْنَى الباحثون بدراسة انتشار التعليم، والتغير في بعض القيم والاتجاهات، والجوانب الدينية، والالتزام بالدين والسلوك الفاضل، والوضع الصحي والاقتصادي، وعمل المراة، واستقلالها الاقتصادي، وعدم التوافق بين الزوجين، ونحو ذلك من المتغيرات التي يفرضها الباحثون الاجتماعيون، وعلماء النفس، لدراسة أسباب أي ظاهرة اجتماعية والوقوف على العوامل التي تؤثر في انتشارها وازدهارها، ثم يجرون الدراسات الميدانية، ويحللون النتائج لمعرفة مدى صحة تلك الافتراضات وثباتها وقيمتها (شلبي: 1990: 11).

يقول ابن القيم: العلم به يعرف الله ويعبد، ويذكر ويوحد، ويحمد ويمجد، وبه اهتدى إليه السالكون. ومن طريقه وصل الواصلون. ومن بابه دخل عليه القاصدون. به تعرف الشرائع والأحكام، ويتميز الحلال من الحرام. وبه توصل الأرحام وبه تعرف مرامي الحبيب، وبمعرفتها ومتابعتها يوصل إليه من قريب. والعلم إمام والعمل مأموم، وهو قائد والعمل تابع. وهو الصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة،

والأنيس في الوحشة، والكاشف عن الوحشة، والغني الذي لافقر على من ظفر بكنزه. والحاجة إليه أعظم منها إلى الشراب والطعام (ابن القيم: 2001: 180).

لما انتشر الإسلام في القرن التاسع الميلادي شهد السودان ثقافة جديدة في الشمال تلك هي الثقافة الإسلامية. وكانت البداية في شكل مجموعات صغيرة من التجار والرعاة البدو، ومنذ القرن السابع الميلادي أخذت مجموعات كبيرة من القبائل العربية تهاجر من الجزيرة للسودان (البصير: 2011: 3). وكان من جراء انتشار الإسلام واستقرار القبائل العربية قيام ممالك إسلامية في السودان، وظل التعليم الديني أمرا لازما للمسلم في كل المجتمعات الإسلامية، إذ يتعين على المسلم حفظ القرآن الكريم أو جزء منه ، الأمر الذي يفرض عليه معرفة القراءة والكتابة (لغرس وتقوية العقيدة الإسلامية) (ابن خلدون: 2010: 779). ولذلك كان على الأباء أن يهيئوا كل الفرص والسبل لأبنائهم لحفظ القرآن الكريم، كما كان هناك حافز آخر للعرب المهاجرين، إذ كانوا يهدفون من وراء ذلك لأن يحققوا لأنفسهم ولأبنائهم وأحفادهم السيطرة الثقافية، ومن ثمة السيطرة السياسية على أهالى البلاد الأصليين (بشير: 1983: 25). وقد مثل القرآن محورا لمشروع تغييري يخاطب المجتمعات البشرية. وقد كان التاريخ الإنساني مسرحا لقيادة القرآن لتحولات كبرى عاشتها الحضارة الإنسانية وعززتها ثقافات الشعوب المسلمة على امتداد العالم الإسلامي، والقرآن بخصائصه البنائية وآثاره الوجودية خطابا معياريا عابراً للثقافات (العوض: 2013: 89).

شكل المسجد الركيزة الأساسية لبداية التعليم بمدينة ودمدني، حيث تقام الصلوات وتقام فيه الدروس التي تُعْنَى بتحفيظ القرآن الكريم ونشر فقه العبادات والمعاملات وتدريس الحديث النبوي الشريف. وقد تم تشييد أول مسجد بودمدني من القش والأخشاب بالقرب من خلوة القرآن التي أسسها الشيخ محمد بن مدني السني التي كانت لها قوة عظيمة في محاربة الرزيلة والعمل على خلق مجتمع روحى فاضل (شاطوط: 1995: 33). تم إنشاء المسجد الكبير بديلا للمسجد الأول في عام 1898م، ومسجد البوشي في عام 1893م. ولما أزداد عدد المتعلمين على مر الزمن، وعظم الإقبال على التعليم تحول مسجد البوشي نواة لمعهد ودمدني العلمي الذي أسس في عام 1927م، وقد قام هذا المعهد بتدريس العلوم الشرعية، وبعض علوم اللغة العربية مثل النحو والصرف، وقد كان لهذا المعهد دور عظيم في التغيير حيث كان منارة في الإشعاع الديني والعلمي. وقد كانت سنوات الدراسة بالمعهد ثماني سنوات

تمثل في مجموعها مرحلتي الدراسة المتوسطة والثانوية، يلتحق الطالب بعد إكمالها بنجاح بمعهد أم درمان العلمي لينال الشهادة العالمية في العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية. وفي عام 1959م تم فصل الصفوف الأربعة الأخيرة وهي تمثل المرحلة الثانوية إلى جامع بانت، وأدخلت مقررات العلوم الحديثة مثل اللغة الإنجليزية والرياضيات والعلوم الاجتماعية ضمن مقررات المرحلة المتوسطة بينما حافظت المرحلة الثانوية على مقررات العلوم الشرعية ريثما تتم تغذية المرحلة الثانوية بالطلاب الناجحين من المرحلة المتوسطة. وفي نقلة عمرانية نوعية أنتقلت الدراسة من مسجد بانت عام 1960م إلى المباني الجديدة جوار منازل 114. وقد أدى المسجد والمشايخ دوراً كبيراً في نشر الثقافة الإسلامية والترابط الاجتماعي بين السكان بالرغم من اختلافهم العرقي (الجعلي: 2004: 63). وفي عام 1970م تم اتخاذ قرار غير موفق بعد سيطرة الحزب الشيوعي على نظام مايو بتصفية نظام الدراسة بالعاهد العلمية (العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية) وتم إلحاقها كمدارس بوزارة التربية والتعليم وأصبح المعهد العلمي العريق يسمى مدرسة السني الثانوية. وهكذا تم التخلص من أحد منابع التعليم القرآني الديني الذي كان يحمل مشاعل هذه العلوم.

ويرى ابن خلدون أن أمة العرب المسلمين قد أجمعت على جعل القرآن الكريم أساساً للتعليم وأصلاً للدراسة والمعرفة – بل إن تعليم القرآن للصغار – صار في الأمة الإسلامية – شعاراً من شعائر الدين في سائر الأمصار ... ويؤمن ابن خلدون بهذا الاختيار السليم لأنه يرسخ الإيمان في القلوب ويمكن لعقائد الدين: "لتجسد تلك العقائد في آيات الله البينات ولأن تعليم الصغر أشد رسوخاً، وسبقه إلى القلوب اليافعة الناشئة يجعله أصلاً لمابعده ولكن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات أو على حسب الأساس وأساليبه يكون حال مايبنى عليه" ... ويروي ابن خلدون اختلاف الأمصار والأقاليم الإسلامية في مسألة محتوي التعليم الأولي؛ الخلاوي والمدارس (إمام: 1985: 139). إن التدرج في العلم هو من قاعدة الأمور الشرعية العظيمة بل أصل من الأصول التي دل عليها الكتاب والسنة. فالتدرج سنة من سنن الخلق الإلهي للكون والعالم بسماواته وأراضيه {إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (الأعراف: 54). فتدرج خلق الله لها في ستة أيام من أيامه سبحانه وتعالي وهو القادر على أن يقول في جزء من اللحظة كن فتكون. ومن هنا

كان التدرج في التربية والتعليم مسلكاً نبوياً حكيماً آثاره جيدة وفعَّالة في إحداث التغيير، وفي السنة من هذا النوع الشئ الكثير. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: "إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ماتدعوهم إليه شهادة أن لا اله إلا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك، فأعلمهم أنَّ الله عليهم فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم. فإن أطاعوك لذلك وإيَّاك وكرائم أموالهم. واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب (البخاري: 1458:رقم 19). هذا الحديث أصل من أصول الإسلام العظيمة حيث اشتمل على بيان المنهج الدعوي الصحيح ففيه التنبيه على الدعوة والتعليم بالتدرج ومراعاة الابتداء بالمهم فالأهم (أساليب تربوية: 2009).

بداية التعليم النظامي:

شهد السودان التعليم النظامي الحديث لأول مرة إبان الحكم الثنائي في عام 1898م حيث قامت بعض جمعيات بعض التبشير المسيحي بفتح مدارس نظامية على النهج الغربي في بعض المدن الكبرى في السودان الشمالي، وفي قليل من المدن في الجنوب (بشير: 1983: 21). وقد سعى الإنجليز للاستلاب الفكري وكان منهجهم خروج السودانيين من تعليمهم وقيمهم الدينية، وقد سلب المستعمر في بداية دخوله ثقافة وحضارة ودمدني التي قامت على هدى الثقافة الإسلامية، ونهج بنوها وساكنوها طريق المعرفة القرآنية والمدرسة الربانية، فإذا المستعمر يأتي ليعيد صياغة ودمدني الجديدة (على مقياس السودان الجديد) على أساس العلم الإنجليزي الذي هو شعار الصليبية المرفوع ! هذه كانت رسالة واضحة المعالم لسكان مدينة ودمدني .. إن مدينة ودمدني التي أرهقتم انفسكم لتأسيسها على هدى القرآن والكتاب والسنة ها نحن قد عدنا لنوقف مسار الثقافة الإسلامية (الجعلي: 2004: 82).

وقد بدأ البريطانيون في مدينة ودمدني يشجعون التعليم النظامي بغرض توفير الأعداد اللازمة من الموظفين الذين يمكن الاعتماد عليهم في إدارة مكاتب الحكومة. وفي عام 1903م أنشئت أول مدرسة أولية (مدرسة كتاب النهر الأولية) على النظام التعليمي المصري، وكان المعلمون من الجنسية المصرية، ثم تبعتها مدرسة البندر الأولية عام 1906م على نفس الأسس التعليمية، ثم أنشئت مدرسة مدني الأميرية الحكومية في نفس العام 1906م، وتعتبر هذه المدرسة أعلى درجة من الكتاب وتأخذ

تلاميذها من مدارس الكتاب (الأولية) وكانت مدة الدراسة فيها أربع سنوات، وتماثل هذه المدرسة ما يعرف في مصر بالمدرسة الابتدائية، وقد أنشئت مدرسة السكة حديد التي كانت تستعمل عربات السكة حديد فصولا لها. وتعدل نظام التعليم الأولي في عام 1970م حيث أصبح التعليم الإبتدائي ست سنوات، وفي فترة التسعينيات اصبح ما يسمى الأن بالتعليم الأساسي قائما حيث ألغيت المرحلة المتوسطة وأنشئت مرحلة الأساس 8 سنوات (الجعلي: 2004: 123). وفي فترة الأربعينيات من القرن الماضي حضرت بعثة للتعليم المصري للسودان وضمت إليها مدرسة الاتحاد القبطية وأصبح أسمها المدرسة المصرية ثم عدل الاسم ليكون المدرسة العربية، وتطورت لتضم قسما للمرحلة الثانوية مع استمرار الدراسة المختلفة (الجعلي: 2004: 129).

شهدت مدينة ودمدني منذ مطلع القرن العشرين تغيرات اقتصادية عميقة نتيجة قيام مشروع الجزيرة 1925م، مما ساهم في إحداث تغيرات اجتماعية شاملة في مجال التعليم والانبعاث الثقافي الغربي. وتوالى تأسيس المدارس، ففي عام 1956م بعد خروج المستعمر تم تأسيس مدرسة ودمدني الثانوية للبنين حيث استوعبت هده المدارس عدداً من أبناء ودمدني مما أحدث ذلك تحولاً في مجال التعليم بعد أن تأهل عدد من الطلاب لجامعة الخرطوم (سالم: 1996: 45). وفي تلك السنة ظهرت لدى المسؤولين فكرة نظام التعليم الشعبي المعان. وكان الغرض منه تشجيع المواطنين للإسهام في تطوير التعليم بختلف مراحله، وتقوم الدولة ممثلة في وزارة التربية والتعليم بدعم تلك المجهودات بالكتب والأثاثات المدرسية أو المعليمن أحيانا وبالإعانات المادية أو العينية، مثل: الأراضي. ويقول مولانا أبوقناية، الأمين الطيب (2015) تحت هذا المفهوم قامت مدارس أبوزيد أحمد، ومدارس الجيلي صلاح، ومدارس يونس للبنين ومدرسة شدو المتوسطة، ومدارس فريني المتوسطة والثانوية للبنين، وقد أسهمت هذه المدراس في دعم العملية التربوية والتعليمية في مدينة ودمدني مما كان له الأثر الواضح في دعم الوعي والتماسك الاجتماعي لسكان المدينة والوافدين إليها، وتنمية القدرات والمهارات وكان ذاك يشكل رافدا في مجالات التنمية البشرية.

ومن السمات البارزة في تاريخ التعليم في ودمدني نشاة الدور الوطني الذي قام به التعليم الأهلي في تعليم البنات، فإن أول مدرسة كتاب للبنات كانت هي مدرسة الحضري التي قام بإنشأئها عام 1938م الشيخ أحمد الحضري. أما أول مدرسة إبتدائية (متوسطة) فقد كانت المدرسة الإرسالية الابتدائية

الإنجليزية للبنات وكانت تتبع للكنيسة الإنجليزية (البروتستانت)، وعندما أنشئت المدرسة الغربية للبنات في عام 1953م سحب المواطنون المسلمون بناتهم من هذه المدرسة الإرسالية. وفي عام 1960م تم تأسيس مدرسة مدني الثانوية للبنات. ومدراس الليثي للبنات، ومدارس أبوبكر المتوسطة والثانوية للنبات، ومدارس عبدالستار الثانوية للنبات. وقد أسهمت أيضا بيوت الخياطة وهي مراكز للتعليم النسوي لتعليم البنات خلال فترة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي (العشرين)، وكانت بعض النساء والمرشدات من الإنجليز والسودانيات يعلمن النساء الخياطة وغزل القطن والتطريز وفن الطبيخ (الجعلي: 2004: 124). أما في مجال التخصص في التعليم الديني للنساء؛ يقول الشيخ الفاتح شاطوط (2010) تصدى الشيخ محمد عبدالرحمن شاطوط لتعليم البنات فقام بتأسيس معهد علمي بحي ودأزرق على نفقته الخاصة عام 1976م واقتصر نشاط المعهد على الوعظ والإرشاد والفقه والتدريب المنزلي والأشغال اليدوية ومحو الامية. وقد ظل هذا المعهد يقدم دورا تنمويا ايجابيا في إرشاد العنصر النسائي و البناء الأسري.

وفي مجال التعليم المهني قامت مدرسة ودمدني الصناعية في بداية الخمسينيات من القرن العشرينن وهي مدرسة أكاديمية صناعية يقبل لها التلاميذ الذين يجلسون لا متحان دخول المدارس المتوسطة ممن لهم الرغبة في تعليم مختلف أنواع الحرف. يتلقى التلاميذ في هذه المدرسة إلى جانب مواد المتوسطة مباديء الحدادة والرسم الهندسي. وفي عام 1969م صدر قرار من وزارة التربية والتعليم بتحويل هذه المدرسة إلى مدرسة متوسطة كاملة. وإنشي بدلا عنها معهد الحرفيين الذي تم التركيز فيه على الحرف المذكورة آنفا. وفي عام 1970م تم إنشاء معهد التدريب المهني، وهو معهد يعني بالتدريب على مهن النجارة والحدادة والبناء والكهرباء ومكانيكا السيارات ومهن أخرى. ويعتبر هذا المعهد الذي تم إنشاؤه بالتعاون مع اليونسكو وحكومة السودان أكثر تقدما من معهد الحرفيين.

وفي فترة التسعينيات تم إنشاء أول جامعة بودمدني وهي جامعة الجزيرة، ثم كلية ودمدني الأهلية، وكلية أبوبكرعثمان الجامعية، وكلية ودمدني التقنية، وجامعة السودان المفتوحة بالإضافة إلى بعض المعاهد المتخصصة والمدارس الخاصة والتأهيلية، وقبل ذلك ألتحق عدد كبير من أبناء ودمدني بالجامعات السودانية المختلفة وخارج السودان.

جدول رقم (3) يوضح مؤشر التعليم لمحلية ودمدني الكبرى 2008–2014م.

البيان	الوحدة الحسابية	المعدل في 2008 - 2012	المعدل المسقط 2014
معدل القيد المدرسي (الأساس)	لكل 100 طفل	83	80
نسبة الحضور المدرسي (الأساس)	لكل 100 طفل	86	79
معدل القيد المدرسي (الثانوي)	لكل 100 تلميذ	75.2	76.1
نسبة الحضور المدرسي (الثانوي)	لكل 100 تلميذ	79.5	76.4
متوسط عدد سنوات الدراسة إجمالي	للشخص الواحد	6.8	7.1
متوسط سنوات الدراسة ذكور	للشخص الواحد	7.9	8.4
متوسط سنوات الدراسة إناث	للشخص الواحد	3.04	5.5
نسبة المنتقلين للثانوي ذكور	لكل 100 تلميذ	50.3	55.0
نسبة المنتقلين للثانوي إناث	لكل 100 تلميذ	47.6	48.7

المصدر: مركز الدراسات السكانية – جامعة الجزيرة.

يشير الجدول رقم (4) إلى مؤشر التعليم بمحلية ودمدني الكبرى، وهو مؤشر جيد أفاد الباحث للتوصل لمعرفة معدل القيد المدرسي ومتوسطات سنوات الدراسة لمرحلتي الأساس والثانوي للذكور والإناث.

جدول رقم (4) يوضح، عدد المؤسسات بالتعليم ماقبل المدرسي والمدارس والطلاب والمعلمين لمرحلة الأساس والمرحلة الثانوية بمحلية مدني الكبرى 2016/2015م.

البيان	ذكور	إناث	مختلط	المدارس الخاصة	المجموع
التعليم ماقبل المدرسي	11025	11042	—	—	22067
مدارس الأساس	61	64	49	61	235
عدد الطلاب	44205	44521	—	—	88726
عدد المعلمين	430	2193	—	—	2623
مدارس الثانوى	18	23	المدارس المشتركة 15	المدارس النموذجية 5	98
عدد الطلاب	76833	81248	–	—	22897
عدد المعلمين	408	967			1375

المصدر: إدارة الإحصاء والتخطيط التربوي، وزارة التربية والتعليم، ولاية الجزيرة، بتصرف من الباحث.

يتضح من الجدول أعلاه رقم (4) أن هنالك زيادة كبيرة في عدد طلاب المراحل المختلفة، نتيجة ارتفاع الوعي الثقافي. وهنالك زيادة مقدرة في تعليم البنات.

إن للتعليم أثر مباشر على خصوبة النساء حيث أنه يوسع مدارك النساء وتطلعاتهن إلى القيام بالأدوار الإنتاجية والمجتمعية وعدم الاقتصار على الانجاب. فإن التعليم يؤخر سن الزواج وبالتالي يقلص فترة الإنجاب والولادات لدى المرأة فالعلاقة عكسية بين تعليم المرأة والعمر عند الزواج الأول. وقد أثبتت البحوث الديموغرافية والاجتماعية في السودان أن تعليم المراة يعتبر عاملا أساسيا في إنخفاض

خصوبة النساء اللائي نلن تعليما ثانويا فما فوق مقارنة بمن نلن تعليما أقل. ويرتبط التعليم ومستواه أيضا بمكان الإقامة من ريف وحضر (عبدالعاطي: 2012" 21).

التغيرات السياسية:

قبل نشأة مدينة ودمدني في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي كانت هي عبارة عن أرض ولم يكن بها أى معلم لحياة الإنسان، وقد كانت الحياة بدائية ولا يوجد أى نظام سياسي للحكم سوى الأطماع السلطوية لبني الإنسان آنذاك، تسيطر عليه مملكة علوة وعاصمتها (سوبا) جنوب الخرطوم، وقد كانت المملكة مفتوحة الأبواب للعرب والمسلمين وغيرهم من رجالات الدين المسيحي. وقد أسهمت الدولة السنارية – السلطنة الزرقاء– (1504-1821م) خلال عقود حكمها التي كانت نتاج غرس للثقافة العربية الإسلامية في إحداث نقلة نوعية على كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية لأهل السودان، وقد انتقل المجتمع السوداني من سيادة المسيحية والوثنية والعادات الجاهلية النوبية إلى سيادة الإسلام وشيوع اللسان العربي وتمدن وتحضر الإنسان السوداني بمقاس ذلك الزمان (خير: 2000: 35).

امتد ظل سلطان السلطنة الزرقاء على عدد من المشيخات ليشمل منطقة شاسعة تمتد من دنقلا شمالا إلى سنار جنوبا ومن البحر الأحمر (سواكن) شرقا إلى النيل الأبيض غربا كما ضمت أجزاء من إقليم كردفان. ورغم نجاح دولة الفونج في إقامة دولة كونفدرالية تشمل عددا من المشيخات السودانية، إلا أن محاولاتها لإقامة كيان سياسي عريض يضم، فضلا عن ذلك، الممالك الإسلامية الثلاث في غرب البلاد (المسبعات وتقلى والفور) قد جانبها التوفيق. وكانت هذه المملكة تمثل أقوى وحدة سياسية ظهرت في السودان في العصر الوسيط (خير: 2000: 35).

وقد استمرت الأحوال في ودمدني بعد نشأتها دون أي تنظيم إداري وسياسي مفتعل حيث كانت تعتمد على النظام الأهلي حتى بدأ الزحف التركي – المصري للاستيلاء على السلطنة الزرقاء في عام 1821م، وتضافرت عوامل الضعف والتفكك وحلقات التآمر الخارجي ضد الدولة السنارية، فإن المعنى ليس إنقلاباً موجهاً ضد سلطات الدولة السنارية وإنما الهدف هو اجتثاث للقيم الاجتماعية والأفكار التي مكنتها وتمثلتها الدولة السنارية، فأخذت المدينة تتغير وتتأثر كغيرها بمتغيرات الغزو الجديد وقوامه من عناصر الأتراك والشراكسة والآرمن وغيرهم (الجعلي: 2004: 78).

وبعد دخول الحملات التركية في عهد محمد على باشا حاكم مصر عام 1821م اتخذ إسماعيل باشا ابن إبراهيم ابن محمد علي باشا خديوي مصر والسودان مدينة ودمدني مركزاً وحامية تركية لجنوده تمهيداً لغزو سنار عاصمة السلطمة الزرقاء التي كانت تخضع لها معظم ممالك السودان وأقاليمه الأخرى آنذاك بما فيها مدينة ودمدني (سالم: 1996: 17). ويقول شقير (1981: 2001) أما إسماعيل باشا فانه زحف بجيشه حتى وصل إلى ودمدني فقابله رجب ودعدلان والأرباب دفع الله أحمد بالطاعة فأمنهما وأخذهما معه، ولما قرب من سنار خرج إليه ملكها الملك بادي طائعا، ودخل إسماعيل باشا بالأبهة العسكرية في 12 يونيو سنة 1821م فأطلق 21 مدفعا احتفالا بذلك. وكان ذلك قبل قتله حرقا على يد المك نمر في شندي في عام ديسمبر عام 1823م. وبعد مقتل إسماعيل باشا شهدت مدينة ودمدني بعض الأحداث بعد ان انتشر الخبر فنشط الرؤوس للثورة ضد الأتراك والمصريين وفر الأرباب دفع الله من ودمدني ونزل في قرية عبود فتجمعت عليه الجموع فشُغل به محمد سعيد أفندي، وأرسل سرية من الفرسان لمطاردته فخرجوا من ودمدني ليلا وأصبحوا في عبود فوجدوا الأرباب دفع الله فقد فر بمجموعة فقتلوا الفقيه عبدالعليم خليفة ولد عبود وخربوا القرية ونهبوا أموالها وعادوا إلى ودمدني. أما الأرباب دفع الله فر إلى إبي شوكة واجتمع علي حسن ودرجب فأرسل إليهما محمد سعيد أفندي سرية من العساكر برئاسة مصطفى كاشف فقاتلاهما قتالا شديدا، وقتل حسن ودرجب وعمه الشيخ حسين وإبنه محمد وجماعة من رجاله وغنم منهما غنائم ثمينة ورجع إلى ودمدني. ولما بلغ الدفتردار في كردفان خبر حرق إسماعيل باشا نزل إلى ودمدني بعد حرق شندي والحلفايا وجزيرة توتي والعيلفون، وقد بلغه هنالك أن أهالي النيل الأبيض قد شقوا العصا فأرسل حسين أغا إليهم وقام بمحاربتهم. وقد أقام الدفتردار في قرية ام عروق جنوب ودمدني يتعقب الثوار في كل الجهات وينكل بهم حتى جاءه الأمر فنزل إلى مصر ومعه السيد أحمد السلاوي الحنفي وتتابع بعده الولاة على السودان إلى ان كانت الثورة المهدية (شقير: 1981: 2008).

وشهدت فترة الحكم التركي–المصري بزوغ أول وحدة سياسية للسودان الحديث بالرغم أن الهدف الأسمى من ضمه للدولة العثمانية كان استعمارياً – اقتصادياً. بيد أن قيام حكومة مركزية في ذلك العهد بسطت سلطاتها على أغلب المناطق التي كانت تحت حكم المشيخات والسلطنات السودانية كان إيذانا ببداية مرحلة جديدة من تاريخ السودان الحديث (خير: 2000: 29).

وقد كان أبرز حدث سياسي هو اتخاذ مدينة ودمدني عاصمة للسودان في الفترة في سنة 1825 بدلاً عن سنار في عهد الميرالاي عثمان بك عندما تم تعيينه واليا على السودان فذهب إليه ومعه بعض الجنود المنظمين الذين عرفوا بالجهادية ونزلوا في الخرطوم فأتاه الشيخ شنبول من ودمدني فأكرمه وكساه وقلده المشيخة على جميع البلاد من حجر العسل إلى جبال النوبة. وأتاه الشيخ عبدالله عمر فقتله بقنبلة مدفع. ثم أقام عثمان أغا الخربطولي وكيلا عنه في الخرطوم وامره بقتل الفقيه الأرباب ودالكامل بقنبلة مدفع وتوجه هو إلى ودمدني فقتل عدة رجال بقنابل المدافع فعظم ذلك على الأهليين ونفرت قلوبهم من الحكومة واخذوا يهاجرون من الأوطان. وكان السيد أحمد البقلي المفتي الشافعي لا يزال في ودمدني فارجعه إلى مصر لعدم وجود شافعية في السودان (شقير: 1981: 2012).

وقد استقر بمدينة ودمدني الكثير من مجموعة من الأجناس الوافدة من الخارج، وقد تركت هذه المجموعات تحولات في الإدارة السياسية والاجتماعية، بعد أن تم تأسيس المباني الحكومية وتطورت المدينة عمرانياً وكانت تضم آنذاك أحياء: الدرنية، البصيلية، البحيرية، الطملة، المغاربة، الهوارة، والسناهير (سالم: 1996: 17). وقد اتسمت ملامح هذه الفترة بالقسوة والإدارة العسكرية الحازمة لإخضاع المواطنين للسلطة السياسية الجديدة، وترسيخ فكرة الدولة العلمانية، وبذر روح الاستعلاء والظلم وتفشي الفساد وسط المجتمع الذي بدأ ينشا على الفضيلة والإخاء فقد أحدث هذا الغزو تحولاً في المفاهيم الاجتماعية الإسلامية التي كانت سائدة في مدينة ودمدني آنذاك (الجعلي: 2004: 79). وقد أفرزت الجماعات الوافدة سلوكاً وعادات وطقوساً غير مألوفة أومقبولة، فقد أنتشر الفساد السياسي والإداري وتفشى الرشوة والمحسوبية وظلم الأهالى وانهيار الأخلاق والقيم السودانية، وقد حاولت الدولة التركية إشراك السودانيين في الإدارة فأدخلوا نظام الحكومات المحلية، ومع هذا التطور النوعي في نظام الحكم إلا أن آفة الحكم كان مصدرها المديريين المصريين والأتراك ومن عاونهم من الأهالي. ثم انتقل الميرالاي عثمان بك إلى الخرطوم ونقل إليها أقلام الحكومة ومستودع الفرسان والمخازن والأشوان وجلعها مركزا للولاة وعاصمة للسودان، وانتهت أهمية ودمدني كقاعدة عسكرية لجيوش الأتراك. وقد كان لابد من ضوابط دينية وسياسية وقانونية تحكم هذه المتغيرات وتحفظ المجتمع وقوامه وخصائصه فكان نتيجة ذلك قيام الثورة المهدية، وآخيرا فشلت الدولة التركية في حكم البلاد بسبب طبيعتها الاستغلالية و قهرها للشعب السوداني (الجعلي: 2004: 104).

خلال فترة الدولة المهدية (**1985 –1898م**) لم يكن لمدينة ودمدني دور سياسي كبير بالمعنى المفهوم وذلك نسبة لتمركز السلطة في مدينة أم درمان، وقد كان اهتمام خليفة المهدي بالشؤون السياسية الخارجية، ومجابهة الدول الاستعمارية، وقد كان أول دور سياسي لمدينة ودمدني أن اختارت المهدية ودالصوفي والياً على المنطقة التي تقع بين الرميلة غرب الخرطوم حتى سنار، واتخذ ودمدني عاصمة لولايته (سالم: 1996: 18). وقد اهتمت الدولة المهدية بتأمين الغذاء من الجزيرة حيث تم تشييد مجمع للغلال جنوب قبة الشيخ محمد مدني السُني وأصبح بها أهم سوق للغلال إضافة إلى أسواقها الأخرى (الجعلي: 2004: 80).

تعتبر فترة الحكم الإنجليزي للسودان (1898–1955م) من أهم فترات التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمدينة ودمدني .. حيث كانت ودمدني محل أنظار الإنجليز لموقعها الجغرافي وسط السودان كملتقى للطرق البرية والبحرية، ولهذا الموقع أهمية اقتصادية واجتماعية وأمنية، فقد اتخذ الإنجليز أن تكون ودمدني عاصمة ثانية بعد الخرطوم بعد أن كانت مرشحة لأن تكون العاصمة الأم. وقد جعلت مدينة الكاملين عاصمة لمديرية النيل الجزيرة في يوم 8 مارس 1903م، وكانت ودمدني مركزاً تابعا لمديرية سنار، وكانت العاصمة مدينة سنجة. تم نقل مركز الإدارة العمومية من مدينة سنار لمدينة ودمدني في 20 إبريل عام 1903م حيث صارت عاصمة لمديرية سنار، وفي أول يناير 1906م صارت ودمدنى عاصمة لمديرية النيل الأزرق وأضيفت لها مديرية الجزيرة (البصير: 2004: 18).

في هذه الفترة بدأت المدينة تزداد من ناحية السكان إزدحاماً بالوافدين فنتج عن ذلك انتعاش لحركة التجارة والزراعة والصناعات المحلية، وتم إرساء نظام الحكم والإدارة حيث كان الحكم برئاسة مدير المديرية ونائبه ثم مفتش المركز وثلاثتهم من الإنجليز، أما المأمور ونائبه فكانا من المصريين يعاونهم العمد والمشايخ المشهود لهم بالذكاء والحكمة، ويلاحظ عدم إعطاء السودانيين المثقفين أى فرصة لتولي مناصب قيادية في إدارة الحكم إلا في أواخر أيام الحكم الثنائي حيث كانت أعلى وظيفة هى وظيفة مأمور (شاطوط: 1995: 20).

وقد شهدت مدينة ودمدني في ذلك القرن الأحداث السياسية الضخمة التي وقعت حوله، فهناك استعمار وثورات وطنية ومؤتمرات وجمعيات وحركات ثورية في السودان وحرب عسكرية وحرب باردة في جميع

أنحاء العالم، كانت هنالك ارهاصات الحرب العالمية الثانية (1939–1945م). وكانت السنوات الأخيرة من تاريخ الاحتلال الثنائي (الإنجليزي المصري) للسودان، وفترة التحول السياسي وتكوين الأحزاب السودانية وهي نقطة تحول مهم في تاريخ السودان المعاصر. فقد شهد مؤتمر الخريجين الذي تم تكوينه بمدينة ودمدني عام 1937م وثبة كبرى في أنشتطه نقلته من دائرة العمل في مجال التعليم والإصلاح الاجتماعي وتشييد المدارس ودعم خلاوي القرآن ورعاية النشاط الأدبي والثقافي (المهرجانات الأدبية) إلى ساحة العمل السياسي، وتقديم مذكرته الشهيرة بتاريخ 3 أبريل سنة 1942م إلى "صاحب معالي حاكم عام السودان" (خير: 1948: 78).

وكانت أهم فقرات المذكرة المطالبة بمنح السودان بحدوده الجغرافية حق تقرير المصير بعد نهاية الحرب العالمية مباشرة ... جاء فيها "إن السودانيين قد تمكنوا من إدراك حقوقهم كشعب يجب أن يكون له كيان خاص، وأنهم بناء على هذا الإدراك يطلبون تعديل بعض الإجراءات التي كانت قائمة آنئذٍ، كما طالبوا بإصدار تصريح مشترك يمنح السودان بحدوده المعلومة حق تقرير المصير" (خير: 1948: 78). وعلى الرغم من أن الإدارة البريطانية في السودان رفضت المذكرة وردتها رداً غير كريم بدعوى تجاوز المؤتمر دائرة اختصاصه. فقد ظلت المذكرة معلماً مهما في تاريخ الحركة الوطنية، وخطوة أولى في طريق المجاهدة والمصابرة التي أنتهت بتحقيق استقلال السودان السياسي. وأخذت وقتها الحركة الوطنية تتجه نحو الاستقلال، وكانت تعقد المساجلات والندوات والمناقشات في الأندية والجمعيات الأدبية (نيويولد: 1948: 149).

كان رأي الحكومة الاستعمارية في ردها على مذكرة مؤتمر الخريجين أنه ليس من حق المؤتمر تمثيل السودانيين، ونتيجة لهذا الرد انقسم مؤتمر الخريجين على نفسه إلى فريقين ! ... فكانت تلك هي البذرة الأولى للأحزاب السودانية داخل المؤتمر... ومع مرور الوقت استفحل الصراع وعلى أثر ذلك ازدادت الأحزاب السودانية، ثم انشقت داخل نفسها وتعددت أساليبها ووجهات نظرها فنادت جميعها باستقلال السودان. ومما قوى شوكة الأحزاب، اتحاد الزعامة الدينية الطائفية مع السياسية ومساندة كل زعيم لحزب معين ... وبذلك انطوت صفحة المؤتمر وأنتهى وجوده الفعلي على الساحة السياسية والاجتماعية بعد أن تفرق أعضاؤه شيعاً وأحزابا. وفي ذلك الحين علا وذاع الترويج المصري لفكرة

وحدة وادي النيل حتى إن مؤتمر الخريجين انشقت صفوفه بين المؤيد والرافض لهذه الوحدة وانقسم أعضاء المؤتمر حول رأى الاتحاد مع مصر أو الاستقلال التام.

سرعان ماولد الضغط الإستبدادي القاسي بداية حركة الكفاح السوداني الذي شهدته المدن السودانية، وقد لعبت مدينة ودمدني دوراً مهما في السياسة السودانية قديماً وحديثاً حيث كانت مركزاً لتحدى السلطة الإنجليزية. ومن أهمها قيام ثورة ودحبوبة التي أعدم فيها قائدها بودمدني عام 1908م، وثورة اللواء الأبيض 1924م، وأعقبها إنتصار الحركة الوطنية ورفع العلم السوداني في 1956م وبقى السودان حراً بعدما يقرب من 60 عاماً من الذل والاضطهاد يقابل ذلك جهاد طويل من القوى الوطنية في السودان.

وقد شهدت مدينة ودمدني تكوين الأحزاب السياسية وانتشار الحركة الشيوعية وتصاعدها، وكانت الشيوعية تبث تعاليمها بين طلاب المدارس ونقابات العمال وتنشيء خلاياها لدراسة الفكر الماركسي وتبني دعائم تنظيمها السياسي من منطلق الفلسفة "الماركسية اللينينية في مدينة ودمدني بالإضافة إلى مدن الخرطوم وعطبرة. كما شهد بدايات انبعاث الحركة الإسلامية في السودان وجيل الإخوان المسلمين الأول وبداية حركته السرية والعلنية في تكوين التنظيم بقيادة الداعية الأستاذ بابكر كرار، وكيف أن الإخوان المسلمين أسهموا في تبيلغ رسالتهم والسودان في قبضة العلمانية وخلايا الفكر الشيوعي، وشهد عملية تطور الحركة الإسلامية من العمل الدعوي والتنظيمي إلى اكتمال بنائها الإداري في مجال العمل السياسي، والعمل الوطني، وتبني مسألة الدستور. وتأسيس منهج الحركة التربوي ونشاطها الفكري والثقافي والاجتماعي، وهو المنهج الذي يفصح عن فلسفة الحركة ورؤيتها لبناء المجتمع الإسلامي وإعداد جيل يتطلع بجد وإخلاص لقيام وترسيخ الدعوة الإسلامية وقيام دولة الإسلام والشريعة.

وقد شاركت مدينة ودمدني في العديد من الأحداث السياسية وكيف كان تأثيرها على نظام الحكم في السودان، بالإضافة إلى استقلال السودان فقد كانت شاهداً على الأسباب التي أدت إلى انقلاب ثورة 17 نوفمبر 1958م بقيادة الفريق إبراهيم عبود، ثم الانقلاب عليها بقيام ثورة جماهيرية في 21 اكتوبر عام 1964، ثم قيام الديموقراطية الثانية، والأسباب السياسية التي أدت إلى إنهيارها بعد مجيئ انقلاب

ثورة مايو بقيادة حركة الضباط الأحرار، وعلى راسها كوادر الحزب الشيوعي السوداني، وكذلك شهدت مجاهدات الحركة الإسلامية ضد حكومة مايو اليسارية والانقلاب عليهم بواسطة الرئيس جعفر محمد نميري ومحاكماتهم وإعدامهم بعد قيامهم بانقلاب عسكري ضد الحكومة. وكيف استفادت الحركة الإسلامية من إنقلاب هاشم العطا وتحول ثورة مايو من اليسار إلى اليمين واستمر ذلك حتى قيام المصالحة الوطنية في عام 1978م، وترسيخ مؤسسات العمل الإسلامي وتحول الاقتصاد إلى الاقتصاد الإسلامى. ثم جاء انقلاب الرئيس "نميري" على الإسلاميين وإيداعهم السجون مما أدى إلى قيام انتفاضة أبريل/رجب سنة 1985م والإطاحة بحكومة مايو، وقيام الديموقراطية الثالثة ومشاكلها وانهيارها بعد قيام الحكم الإسلامي وقيام الدولة الإسلامية بمساندة كوادر الجبهة الإسلامية (ثورة الإنقاذ الوطني) بقيادة العميد عمر حسن أحمد البشير.

وفي ظل هذه المعطيات السياسية شهدت مدينة ودمدني العديد من الحكومات المحلية، وقد ظلت مدينة ودمدني عاصمة مديرية النيل الأزرق، ثم عاصمة للإقليم الأوسط، ثم عاصمة لولاية الجزيرة، وفي عهد نظام مايو تم تكوين مجلس تشريعي يتم انتخابه عن طريق التصويت المباشر، ومن مهامه الرقابة على السلطة التنفيذية، وإصدار القوانين المحلية. وفي عهد ثورة الإنقاذ الوطني اتخذت مدينة ودمدني عاصمة لولاية الجزيرة ومقرا للحكومة، وكون بها عدد من المحليات والمجالس التشريعية بالانتخاب المباشر.

التغيرات الاقتصادية:

التغيرات الاقتصادية العالمية المتلاحقة، وبوتيرة متسارعة تفرض تحديات جسيمة على المجتمعات الإنسانية، وتؤثر في الوضع الاقتصادي بكل جوانبه من موارد متاحة ومؤشرات اقتصادية وفقا للسياسات والاستراتيجيات المطبقة، والتغير في مجال الاقتصاد مثل الاعتماد على الموارد النفطية وعدم الاعتماد على الزراعة التي كانت تعتبر من الموارد الأساسية قبل ظهور البترول في السودان وخروج البترول من دائرة الموارد الأساسية بعد انفصال جنوب السودان. وموضوع العمال والتشغيل والفقر والهجرة والتعليم وذلك بارتباطه بالعوامل الاقتصادية والسياسية خاصة بالنسبة لشريحة الشباب التي تعاني من معدلات البطالة والحاجة والاستقطاب السياسي (عبدالعاطي: 2012: 4).

عند بداية نشأة مدينة ودمدني لم يكن يوجد أى نشاط اقتصادي، إذ لم تكن الزراعة أو الصناعة معروفة لدى السكان الأوائل لمدينة ودمدني، وقد كان اعتماد السكان على سبل كسب العيش البدائية وهي التقاط الثمار وجمعها وأكلها مثل النبق واللالوب، وربما أثرت طبيعة النشاط التعليمي الصوفي على الزهد والاكتفاء على الموجود وما تهبه الأرض من زرع (الجعلي: 2004: 54). وقد شهدت المدينة نشاطاً تجارياً في عهد دولة السلطنة الزرقاء، فقد كانت تمر عبرها قوافل كردفان التجارية الذاهبة إلى سواكن بطريق القضارف النيل الأزرق بعد مرورها بقرية (ود شلعي) على النيل الأبيض وقرية (عبود) بالجزيرة، وبعد قيام الخرطوم ورثت ودمدني المركز التجاري الذي كانت تحتله سنار في حوض النيل الأزرق. وقد كانت عامرة بأسواقها كقرية كبرى لفتت انتباه الرحالة الأوربيين واستقر بها عدد من جنود الفونج وأسسوا بها عدداً من المقاهي والمطاعم (الخليفة: 2008: 2009).

وكان نظام التجارة والأسواق في عهد السلطنة الزرقاء لكل مشيخة سوقا تجاريا عاما يفتح في يوم معين من أيام الاسبوع فيتجمع إليه التجار لبيع ما لديهم من السلع والحبوب والمواشي، وقد تميزت هذه الأسواق بوجود الاصناف المختلفة من لحوم البقر والإبل والأغنام، كما يوجد اللبن ومشتقاته إلى جانب البقول والخضروات والفواكه والتوابل إضافة إلى الروائح العطرية والعطرون والحنة (شقير: 1972: 178). كما كانت تأتيه منتجات المشيخات من سن الفيل والذهب والمنسوجات (شبيكة: 1963: 17).

لم تكن للسلطنة عملة خاصة (ضرار: 1964: 18). فكان تبادل المنتجات المحلية بين الأهالي يتم عن طريق المقايضة في القرى والمدن الصغري (البصيلي: 1971: 271). وذلك عن طريق مبادلة سلعة بسلعة أخرى (المسير: 1985: 12). هذا بجانب بعض العملات المحلية التي يصنعها الحدادون وتعرف باسم مثل أبومنجل والحشاش (البصيلي: 1971: 2017). كما كانت تستخدم العملات الأجنبية المجلوبة من الخارج بواسطة التجار الأجانب وهي لا تواجه أي صعوبة في التعامل والتداول ولهذا كان لها قيمتها وسط التجار الأثرياء (القدال: 1986: 24). وأهم النقود الرائجة التي كانت متداولة في مدينة ودمدني ومدن السودان الأخرى في فترة في السلطنة الزرقاء هو ريال أبو طيرة (البصيلي: 1972: 180). كما استعمل في بربر وشندي الدولار الاسباني (شقير: 1972: 1180).

لم تكن المكوس باهظة فقد كانت أول ضريبة فرضتها سلطنة الفونج على القبائل هي تورات [*] العسكر وهي عبارة عن عمار* لبن وفطير ويكون مناصفة بين الأهالي (ودضيف الله: 82). وقد أطلق الفونج كلمة الخراج على كل ما يدفع للحاكم (أبوسليم: 1980: 203). وتفرض ضريبة الخراج على أرض الدولة أو الأرض التي جرى تمليكها ولم ينص على إسقاط خراجها (فضل المولى: 2004: 154). وتفصَّل ضرائب الأرض كالآتي: (أبوسليم: 1967: 31).

الدم: وهو ما يذبحه مالك الأرض للحاكم وأعوانه أن قدموا عليه.

الكليقة: وهي حزمة من القش تعطي لدواب الحاكم وأعوانه.

قلة: عبارة عن عيش يؤخذ بالبرمة والبرمة تسع ربعا.

العادة: الإعانة المالية التي تقدم للحاكم في المناسبات السعيدة كالختان والأفراح.

نزول: أي أن ينزل الحاكم وأعوانه على مالك الأرض فيقوم بالضيافة.

الاعانة: أي الإغاثة وهي مساعدة الحاكم ومعاونته.

سنسنة: وتعرف بالكسرة والمقصود بها الطعام.

المخلا أو المخلة: مأخوذة من المخلاة (المخلاية) وهي كيس من الشعر.

الجباية: العوائد التي تدفع عن الأرض .

تورات: يرجح أبو سليم أنها تسمين وتربية الماشية .

حسب: غرامة معينة يؤديها الرجل كدية أو تأديب .

جلة: ومعناها الكثير.

السبلة: الإعانة التي تقدم للحاكم عندما يقيم.

علوق: العليقة التي تقدم لدواب الحاكم وأعوانه.

(*) تورات : ضريبة من وجبات الطعام أو تعيينات العسكر الذين ينزلون في بلادهم حتي يرحلوا عنها
(*) عمار : اناء معين لحفظ اللبن.

أما الزكاة فقد اعتمدت في طريقة جبايتها على الشريعة الإسلامية حيث تؤخذ من المسلمين بحسب الشرع عينا وحرثا أو ماشية (فضل المولى: 2004: 150). كانت السلطنة تؤمن للقوافل التجارية طرق التجارة من غارات المعتدين وتوفر لهم أيضا الخدمات التي يحتاجون إليها ومقابل ذلك تأخذ منهم عيناً ونقداً. وكان يتحصلها منهم مشايخ الأقاليم ثم يوزعونها بمقادير معلومة بينهم وبين شيوخ العبدلاب (محى الدين: 1992: 399). أما المسؤول عن جمع الضرائب وهو الشيخ يعرف بشيخ الحواكرة (العوض: 1976: 48). ومما سبق يتضح لنا مدي اهتمام السلطنة بالجوانب التجارية وما يتعلق بها من ضرائب ومكوس وغيرها كما يظهر جليا عدم الاهتمام بالزراعة كجانب مهم من جوانب الاقتصاد. وعلى الرغم من السلبيات التي عصفت بالاقتصاد في عهد سلطنة الفونج من مجاعات وكوارث إلا أنه لم يخل من الإيجابيات (المؤتمر الدولي للإسلام في إفريقيا: 2006: 6) التي تمثلت في:

أولاً: ارتبط نظام الاقتصاد بالنظم الإسلامية في المعاملات.

ثانياً: تطور نظام ملكية الأرض وأصبح له نظم ثابتة وفق النظام الإسلامي.

ومن ناحية أخرى كان الاقتصاد في دولة الفونج انعكاسا للحكم اللامركزي الذي سارت عليه الدولة فقد كانت اللامركزية تشمل أيضا فروع بيت المال في الأقاليم ولم تكن الإدارة المحلية تتطلب دخلا كبيرا ولذلك لم يفرض ملوك سنار على دولتهم غير جزية معلومة بسيطة يجمعها حاكم القسم ويدفعها للدولة، وقد اكتفت الدولة بالإشراف العام على الاقتصاد ولم تتدخل تدخلا كبير في التحكم في توجيهه أو احتوائه (فضل المولى: 2004: 248).

وفي عهد الحكم التركي كانت السوق في مدينة ودمدني عبارة عن أكواخ صغيرة، تحتوى على بعض الأقمشة ذات الألوان الباهتة (الشيت) كما تسمى، والأحذية والخرز والسكر والبن والبهارات، وقد كان أفضل "دكان" هو ذلك المقهى الذي يحتل ركناً من مربوع عند نهاية الأكواخ. في هذا المربوع تباع الذرة والذرة الشامية والقمح وغيرها مما يجلب السكان من المناطق المجاورة (هيل: د.ت: 71). وقد شهدت مدينة ودمدني خلال فترة الاحتلال التركي المصري للسودان تطوراً في النشاط الزراعي نتيجة لوجود مجندي الجيش التركي الذين اتخذوا من الأراضى الواقعة بين حي جزيرة الفيل وحي دردق مقراً لهم وانتعشت زراعة الذرة الرفيعة والذرة الشامي والبطيخ والبامية والملوخية والعجور والطماطم. وقد عمل بعض الشوام والإغريق والهنود بعد استقرارهم بحى القسم الأول بودمدني العمل في النشاط

التجاري وبدأوا يعملون في تجارة الأقمشة والسكر والشاى والخزف وغير ذلك من السلع المستوردة من الخارج، كما عمل بعض الأهالي في تجارة المحاصيل المختلفة عن طريق البحر كالسمسم والدخن والذرة (الجعلي: 2004: 152).

أما في فترة المهدية 1885–1898م فقد كانت الجزيرة إقليما له أهميته بوصفه مصدراً لمد الجيوش بالغذاء والتموين. فقد شهدت تلك الفترة فترة ركود اقتصادي في السودان عامة، لأنها كانت فترة تأسيس للحكم بعد ثورة غيرت من نظام الحكم الأجنبي المستعمر للبلاد (التركي – المصري)، وأيضاً فإن الهجرة إلى أم درمان عاصمة الدولة المهدية بطلب من الإمام المهدي كان لها أثر كبير، وبالتالي كسدت الأحوال الاقتصادية ولم تذق مدينة ودمدني انتعاشاً اقتصادياً في تلك الفترة. ونسبة لصعوبة امكانية الحياة والعيش في أم درمان سمح الخليفة عبدالله التعايشي لسكان الجزيرة بالعودة إلى ديارهم في عام 1888م وهي ماتعرف بسنة المجاعة المعروفة في السودان بـ (سنة 6)، وبعد سقوط مدينة أم درمان بعد موقعة كرري وبنهاية الثورة المهدية عاد بقية السكان الذين تخلفوا بمدينة أم درمان (شاطوط: 1995: 13).

وفي فترة الحكم الثنائي الإنجليزى المصري (1889–1955م) شهدت مدينة ودمدني انتعاشاً اقتصادياً عم كافة القطاعات الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة وخدمات نتيجة للازدحام السكاني والهجرات التي توافدت إلى المدينة من مختلف القبائل من داخل السودان ومن مختلف الأجناس من خارج السودان من تجار وحرفيين وموظفين. وقد شهدت مدينة ودمدني منذ العهد التركي وحتى فترة الحكم الإنجليزي للسودان العديد من هجرات التجار اليهود للسودان، وهم الذين كانوا يعملون في الاستيراد والتصدير، وقد كان من أبرزهم يوسف داود وهو من مواليد مصر عام 1902م وقد تجنس بالجنسية السودانية بوثيقة رقم 1142 بتاريخ 12 يونيو 1959م، عمل في مجال التجارة بسوق ودمدني، وهو ابن خال هنري داود العيني الذي كان يعمل مع صالح باروخ بودمدني. وجهته التي هاجر إليها غير معلومة الجهة. وأيضا السيدة فكتورين يعقوب ملكة من مواليد مدينة ودمدني في يوم 28 نوفمبر 1948م، تجنست بوثيقة رقم 845 بتاريخ 30 أبريل 1950م وهي متزوجة، هاجرت إلى أمريكا. وأيضا يعقوب يوسف عبودي من مواليد مدينة ودمدني 1917 وقد منح الجنسية السودانية بالميلاد تحت الرقم 191 بتاريخ 30 أكتوبر 1949م، عمل في تجارة الخردوات، هاجر إلى أمريكا في

أبريل عام 1967م قبل حرب النكسة 1967 بشهور !. ومن أشقائه موسى، وموريس وجوزيف وإبراهيم، د. شلومو، وجميعهم أستقروا في الولايات المتحدة الأمريكية؛ و د. شلومو يتملك الآن مستشفى كبير بولاية نيوجيرسي. ومن الذين أيضا لهم دور في التجارة بودمدني البرت ساموبل أشكازي من مواليد مدينة ودمدني عام 1932م تم منحه الجنسية السودانية بوثيقة رقم 1734 بتاريخ 29 نوفمبر 1953. هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1964م. ومن التجار أيضا إلياس البنو (يطلق عليه أهل ودمدني إلياس البُني) هاجر إلى دولة نيجيريا بعد حرب النكسة يونيو عام 1967م وقد تعرضت أعمال شقيقه إدوارد للمصادرة .

وقد أدى هذا التمازج العرقي إلى بروز تباين ثقافي وسط هذه المجموعات فاستفاد مجتمع ودمدني من هذا التباين في دفع الحركة الاقتصادية، إذ كثر الطلب على الإنتاج والسلع والخدمات، وكان لكل قبيلة أو جالية أجنبية مستلزمات تود الحصول عليها، فعمرت الأسواق بمختلف الأصناف وتطورت وسائل الزراعة فتأثر الإنتاج إيجاباً كماً ونوعاً (الجعلي: 2004: 153).

ومن أهم الفترات الي برزت فيها أهمية ودمدني بوصفها مدينة تجارية كانت بعد قيام مشروع الجزيرة في عام 1924م الذي أنشىء لاستقلال موارد السودان الطبيعية والزراعية وكان من أهم طموحاتهم العمل على زراعة القطن طويل التيلة، وقد أصبح القطن الذي يزرع في الجزيرة الغرض منه التصدير إلى الخارج لجلب العملة الصعبة، وقد كان الإنجليز قبل سودنة مشروع الجزيرة يعتمدون عليه في الارتقاء بصناعة النسيج في لانكشير ببريطانيا، ولايستهلك من محصوله محليا إلا قدر ضئيل للغاية لعدم اهتمام الحكومات السودانية المتعاقبة منذ بتطوير صناعة النسيج في السودان (الكارب: 2012: 25).

وقد كان لابد من الضرورى بناء خط حديدي لربط مناطق الإنتاج بميناء السودان الوحيد آنذاك سواكن، وفي عام 1912م تم ربط مدينة ودمدني ببقية مدن السودان المهمة، حيث كان ذلك الحدث مؤشراً لمرحلة اقتصادية وتغيراً اجتماعياً كبيراً بالمدينة، وقد كانت تستقبل يومياً عشرات القبائل والقوافل المحملة بحاصدات السودان، ودخلت المدينة أعداد كبيرة من العاملين والحرفيين الذين أثروا الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وبذلك أصبحت مدينة ودمدني وقتها أهم دعامات اقتصاد السودان.

وقد كان النشاط الصناعي آنذاك بدائياً للغاية وهو عبارة عن الآلات الزراعية التقليدية من الحديد والخشب مثل (الملود) وهي عبارة عن ألة لتنظيف الحشائش الأرضية، وأيضاً اشتهرت صناعة الكوريق والطورية والسلوكة (آلة للزراعة) والواسوق (آلة لتسوية الأرض) وغير ذلك من الصناعات البدائية مثل صناعة العناقريب والأحذية البلدية (المركوب) وصناعة الأسلحة البيضاء مثل السيوف والحراب والسكاكين والبنادق الخفيفة، وقد تخصصت بعض العائلات في هذه المهن وانحصرت في أغلب سكان حي القسم الأول (الجعلي: 2004: 152). أما بقية السكان فهم في الأغلب مزارعون، مارسوا الزراعة سواء في مشروع الجزيرة، أو الزراعة المطرية، أو زراعة الجروف، وعمل البعض جزارين وخضرجية وفي تجارة القطاعي وصيد السمك (سالم: 1996: 33). وقد كان النشاط التجاري ينصب حول المنتجات الزراعية والبضائع المستوردة والمحلية التي كانت تزدحم بها الأسواق المشهورة مثل (سوق أم سويقو)، و(سوق الأشراف) جوار خور ودقيحة. أما العملة المتداولة آنذاك فقد كانت من فئة الريال أبوعشرين قرشاً حيث يساوي القرش الواحد عشرة مليمات وهي عملة نمساوية كانت متداولة في مصر والسودان والحبشة، كما كانت هنالك العملة المصرية فئة (الشلن) الذي يساوى خمسة قروش (الجعلي: 2004: 152).

وقد جلب مشروع الجزيرة الغنى للسودان بعد قيامه، كما ضرب في نفس الوقت مثلا باهرا لما يمكن أن يتحقق في دولة إفريقية، إذ ما تضاربت عوامل التجارب المتأنية، مع البحث العلمي والكفاية الإدارية الحكومية، والتجارية، والشراكة التعاونية بين الدول والمؤسسات التجارية. وقبل الحرب العالمية الأولى كانت ثروات السودان ضيلة للغاية (مكمايكل: 2009: 222). وبصرف النظر عن التطور الاقتصادي والاجتماعي العام للبلاد فإن مشروع الجزيرة تسبب في تغيير حياة وتوجه سكان المنطقة بشكل جذري ففي خلال عقدين فقط من الزمان تم تطوير مجموعة من البشر الفقراء والمتخلفين، والذين يعيشون حياة غير مستقرة في جزء من البلاد بأمطار غير مضمونة لا تتعدى بوصات في العام، إلى مجتمع غني واقتصاد متوازن يعيش فيه مزارعون متعلمون ويمارسون المسؤولية الاجتماعية. قام الدكتور محمد أفضال مدير الأبحاث للجنة القطن المركزية الباكستانية بجولة في مشروع الجزيرة وهيئة البحوث الزراعية بودمدني وكتب: "إن الجزيرة تمثل أعظم تجربة رائعة لحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية

في هذا القرن، وأن نجاحها لعظيم بدرجة تؤهلها لدخول التاريخ كأسطورة رومانسية في الإنجاز الإبداعي" (مكمايكل: 2009: 204).

وبعد الحرب العالمية الثانية وما بعد الاستقلال ظلت مدينة ودمدني من أكثر المدن جذباً للسكان حيث لعب القطاع الصناعي دوراً مهماً في التنمية الاقتصادية المهمة التي أدت إلى إحداث التنمية البشرية وزيادة دخل الفرد بتوفير فرص العمل وتحقيق القيمة المضافة للمنتجات الزراعية والحيوانية (اقتصاديات ولاية الجزيرة: 2005.199). خاصة بعد قيام المنطقة الصناعية مع ازدياد النشاط التجاري للمدينة وظهور مناطق سكنية جديدة وتوسعت حركة الأداء الحكومي نسبة للتطور الإنمائي والاجتماعي. أقيمت بعض المؤسسات الاقتصادية، وأقيمت فروع لبعض الشركات الضخمة مثل جرتلى هانكي، سودان ماكنتاير، وكاتربيلر، وشركات الجرارات الخفيفة والثقيلة، وأقيمت مصانع للنسيج، والمشروبات الغازية والحلويات، ومطاحن الدقيق، وصناعة الزيوت والجلود، والإنتاج الحيواني. وقد أدى هذا التطور الاقتصادي إلى التغير في نمط الانتاج فتحول سكان ودمدنى من النمط التقليدي البدائي مثل الزراعة والأعمال الشاقة إلى الاعتماد على الآلة والتكنولوجيا.

الخلاصة:

تناول هذا الفصل التغير الاجتماعي في مجتمع الدراسة مدينة ودمدني، وقد عرض الفصل لنشأة المدينة والتطورات واالتحولات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بالإضافة إلى التطورات العمرانية التي مرت بها المدينة منذ حقب بعيدة تمتد إلى تاريخ نشأتها. ومن خلال الدراسة نخلص إلى أن التعليم اليوم توسع بصورة كبيرة عما كان عليه في فترة الاستعمار فقد كانت الحصيلة كبيرة في مجال تعليم الأولاد والبنات، وواقع أكثر انفتاحاً بعد تعليم البنت وخروجها للعمل ومشاركتها في اقتصاد الأسرة، وقد كانت وظيفتها في الماضي لا تتعدى العناية بزوجها وأسرته وأولادها. وقد ترك التعليم أثراً كبيرا على مجتمع مدينة ودمدني من حيث التغيرات في النظم الاجتماعية، ولعل من أبرز المؤسسات التي يتكون منها البناء الاجتماعى نظام التعليم ومراحله المختلفة من الابتدائي وبأنواعه المتباينة، فالتعليم بمفهومه العام يلمس جميع جوانب الحياة ويؤثر في جميع المعاملات الحياتية والعقائدية والفكرية والثقافية.

ويعتبر أيضا العامل التكنلوجي الذي ينضوي تحت منظومته العلوم المتطورة التي تؤثر في المجال التعليمي، والبحثي، والصناعي، والصحي والإعلامي بمختلف وسائطه من تلفاز وتلفونات وإنترنت (Internet) وما ينتج عنها من تغيرات اجتماعية وثقافية تتداح آثارها إلى كافة أرجاء المجتمع فهي تبث أفكارا وأساليب حياة وأنماطاً معيشية متقدمة الأمر الذي يؤثر على وظائف المجتمع وبنائه الاجتماعي التي تؤدي إلى التغير الاجتماعي. فتغيرت الكثير من العادات والتقاليد والقيم والموروثات الاجتماعية.